المعنى الأصلي في ترجمة القرآن الكريم بين الفهم والوهم

قراءة في ترجمة كلمة (حاصبا) أنموذجا

د . بالول أحمد - جامعة ابن خلدون تيارت

ملخص:

إن البحث في مبدأ التكافؤ اللغوي في ترجمة القرآن هو بحث في سبل إيجاد تطابق لغوي بين النص المصدر والنص لهدف ، وهي مسألة مهمة تتوقف بالدرجة الأولى على مدى إلمام المترجم باللغة الأصلية واللغة المترجم لها ، غير أن فهم النص الأصلي أمر غاية في الأهمية .. وقد لاحظت أن المترجم في ترجمته للنص القرآني غالبا ما يتقيد بتفسيرات المفسرين ، فإن كان المفسر مصيبا في شرحه وتأويله سلمت الترجمة من الخروج عن المدلول الأصلي، وإن كانت غير ذلك ألصقت بالقرآن معاني لم يقصد إليها، وهو أمر غاية في الخطورة لا يمكن تجاهله والتغافل عنه.

البحث:

يعد القرآن الكريم أصدق وثيقة تاريخية ، فالحوادث التي سيقت في كثير من الآيات لا يطرأ إليها أدنى شك ؛ لأنها وحي من الله عز وجل قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً ﴾ [طه:99] ، وما قصه الله علينا من أخبار الأمم السابقة لا يقارن البتة بما حجبه عنا ، وهذه الأخبار في مجملها عبارة عن مشاهد متنوعة لأقوام هلكوا بأنواع مختلفة من العذاب نتيجة طغيانهم وعصيانهم لأنبيائهم، قال عز وجل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل:52]. ومن الحكمة الإلهية أنه ذكر الفعل السّيئ لكل أمة وخصها بنوع من العذاب ليعلم الإنسان أن لكل سيئة عذابها المخصوص. قال تعالى: ﴿فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[العنكبوت:40] .

ومن جملة هؤلاء الأقوام الذين أخذهم الله بعذاب أليم قوم لوط ، حيث وصف الله العذاب الذي أهلكهم به في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر:34].

وقد تكلم المفسرون عن العذاب الذي ألحقه الله بقوم لوط بدءا من الصيحة التي أخذتهم مشرقين ومرورا بقلب مدنهم وانتهاء بإمطار الحجارة عليهم ؛ لكنهم لم يتفقوا على دلالة (الحاصب) في القرآن .

وبما أن المترجم للنص القرآني لا يمكنه الاستغناء عن كتب التفسير كان لزاما عليه أن يتقيد بما ذُكِر من تأويل وتفسير ، لذلك لا غرابة أن يترجم الدكتور حميد الله كلمة (حاصبا) بـ (Ouragon) بناء على ما اجتمع لديه من معان وشواهد لغوية من كتب التفسير.

ففي قوله الله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [سورة القمر:34] ، ترجمت الآية بالفرنسية على النحو الآتي :

34. Nous lâchâmes sur eux un ouragan, excepté la famille de Lot que Nous sauvâmes avant l'aube,

و (ouragan) هي الريح العاتية ، وهي ترجمة خاطئة في نظري ؛ لأن كتب التفسير نفسها مضطربة في تأويل الحاصب ، فتارة تفسرها بالحجارة المرسلة من السماء ، وتارة تفسرها بالريح التي تحصب. فَمن فسرها بالريح فبناء على ما توافر لديه من شواهد من الشعر العربي ، ومن فسرها بالحجارة فبناء على آيات متفرقة في كتاب الله أوضحت معنى الحاصب ، ونحن نؤمن بأن القرآن يفسر بعضه بعضا ، فإذا ثبت معنى آية بآية أخرى فما جدوى البحث في الشعر أو غيره .

وللوصول إلى التأويل السليم لا بد من التعريج على كل الآيات التي ذكرت الحاصب، والحجارة، وأنواع العذاب؛ لنتبين حقيقة هذه الكلمة ، ولا بأس من ذكر طرف من هذه التفاسير.

يقول الطبري في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً﴾[الإسراء:68] ، ما نصه :

"﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ بمعنى: أو يمطركم حجارة من السماء تقتلكم"[1]، ثم يذكر آثارا في ذلك حيث يروي عن قتادة أن الحاصب : هو الحجارة من السماء ، وعن ابن جريج أنه : مطر الحجارة.

وبعد سرد بعض الآثار في تأويل الحاصب يذكر تأويلا آخر له حيث يقول: "وكان بعض أهل العربية يوجه تأويل قوله ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ إلى معنى : أو يرسل عليكم ريحا عاصفا تحصب، والشاهد قول الشاعر:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّامِ تَضْرِبُنَا..... بِحاصِبٍ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[2]

وأصل الحاصب: الريح تحصب بالحصباء ، الأرض فيها الرمل والحصى الصغار. يقال في الكلام: حصب فلان فلانا: إذا رماه بالحصباء، وإنما وُصفت الريح بأنها تحصب لرميها الناس بذلك، كما قال الأخطل:

ولَقَدْ عَلِمْتُ إذَا العِشارُ تَرَوَّحَتْ... هدْجَ الرّئالِ تَكُبُّهُنَّ شَمالا.

---

[1] ينظر: الطبري (محمد بن جرير): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة (ط 01) 2000م، 498/17.

[2] يقول أحمد محمود شاكر بهامش تفسير الطبري : البيت للفرزدق من قصيدة يمدح بها يزيد بن عبد الملك، ويهجو يزيد بن المهلب، (ديوانه طبعة الصاوي 262-267). استشهد به المؤلف على أن الحاصب: الريح التي تحمل الحصباء وهي صغار الحصى، والبيت شاهد على أن الحاصب مطر الحجارة، ينظر :المصدر نفسه :498/17.

تَرْمي العِضَاهُ بِحاصِبٍ مِنْ ثَلْجها... حتى يَبِيتُ عَلى العِضَاهِ جِفالا"[3].

ويفسر ابن عطية « الحاصب » بالعارض الرامي بالبرَد والحجارة ونحو ذلك ، ويستشهد بالأبيات نفسها التي ذكرها الطبري آنفا... ومنه الحاصب الذي أصاب قوم لوط ، والحصب : الرمي بالحصباء ، وهي الحجارة الصغار[4].

والعارض الذي قصده ابن عطية هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[الأحقاف:24].

ويسلك القرطبي المسلك نفسه الذي سلكه الطبري وابن عطية في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ ويستشهد بالأبيات نفسها، غير أنه في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[الملك:17] ، يذكر ثلاثة تأويلات للحاصب :

أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل.

وقيل: ريح فيها حجارة وحصباء.

وقيل: سحاب فيه حجارة[5].

فالحجارة حاضرة في كل الأحوال ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات:33،32] والمعني بالآية قوم لوط عليه السلام .

وفي ظل هذا الاضطراب في تحديد معنى (الحاصب) لابد من العودة إلى المعاجم العربية للوقوف على المعاني المختلفة ، ثم تحديد المعنى الحقيقي من خلال قرائن نسوقها لاحقا.

يقول ابن فارس : الحاء والصاد والباء أصلٌ واحد، وهو جنسٌ من أجزاء الأرض، ثم يشتقّ منه، وهو الحصباء، وذلك جنسٌ من الحَصَى. ويقال حَصَبْتُ الرّجلَ بالحَصبَاء. وريحٌ حاصب، إذا أتَتْ بالغُبار. فأمّا الحَصْبَةُ فَبَثْرَةٌ تخرج بالجَسدِ، وهو مشبَّه بالحَصْباء[6].

وجاء في معجم العين و التهذيب للأزهري ما نصه :

الحَصَبُ: الحَطَبُ الذي يُلقى في تَنُّور أو في وقودٍ، فأما مادام غير مستعمل للسُّجُور فلا يسمى حَصَباً، قال: والحَصْبُ: رَمْيك بالحَصْباء: والحَصْباءُ: صغارها وكبارها.

---

[3] المصدر نفسه : 498/17- 499.

[4] ابن عطية (عبد الحق بن غالب): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية – لبنان (ك 01) ، 1993م، 472/3.

[5] القرطبي (عبد الله محمد بن أحمد): الجامع لأحكام القرآن ، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان (د ط) 1985م، 217/18.

[6] ابن فارس (أبو الحسين أحمد) : مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (د ط) 1979م، مادة (حصب).

وفي الحديث الذي جاء في مقتل عثمان رحمه الله قال: " تَحاصبُوا في المسجد حتى ما أبْصِرَ أديمُ السماء؟ أي ترامَوْا بالحَصْباء.

ويقال للريح التي تحمل التُّراب والحصى حاصِبٌ، وللسَّحابِ يَرْمي بالبَرَد والثَّلْج حاصِبٌ ؛ لأنه يَرْمي بهما رَمِياً، وقال الأعشى:

لَنَا حاصِبٌ مثلُ رِجْل الدَّبَى ... وجَأواءُ تُبْرِقُ عَنْها الهَيُوبا

يصف جيشا جعله بمنزلة الريح الحاصب يثير الأرض . قال الأزهري : أراد بالحاصب الرُّماة.

والمحصب: موضع الجمار[7].

إذا نستخلص ما يلي :

- **أولا** : الحاصب على وزن فاعل هو الذي يقوم بفعل الرمي .

- **ثانيا** : الحاصب مأخوذ من أصل طبيعي الذي هي الحصباء ، وهي الحجارة الصغيرة والكبيرة المنتشرة في باطن الأرض وظاهرها .

- **ثالثا** : الحاصب يطلق على الريح التي ترمي الحجارة ، ويطلق على السحاب الذي يرمي البرد ، ويطلق على الجيش الذي يرمي السهام ، وعلى كل ما يتصف بصفة الرمي.

- **رابعا** : أن الحصب هو كل ما يلقى أو يرمى في النار فيصير بمثابة وقود للنار.

- **خامسا** : لفظ الحصب مأخوذ من الجذر الثنائي (صب) الذي يدل على نزول شيء بشكل متتابع قال تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾[الفجر:13] ثم تفرعت من لفظ صب الألفاظ الآتية : حصب ، وصب ، نصب .. وهي ألفاظ جميعها تدور في فلك دلالي واحد هو: العذاب ، الوجع ، الألم ، وكل ما يؤذي...

قال صاحب الظلال : "لفظة الحاصب ذات جرس كأنه وقع الحجارة ، وفيه شدة وعنف تناسب جو المشهد"[8].

- **سادسا** : بإمكاننا أن نطلق اسم الحاصب على البركان ؛ لأنه هو الشيء الوحيد الذي يرمي الحجارة الحامية ، بالإضافة إلى الأتربة والحمم ، وهو ما أثبتته الدراسات العلمية ولم تصرح به كتب التفسير ، غير أن المعاجم العربية أشارت إلى بعض جزئياته قال الفرَّاءُ :

---

[7] ينظر : الفراهيدي (الخليل بن أحمد) : معجم العين ، تحقيق: مهدي المخزومي ن إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال (د ط) (د ت) باب (الحاء والصاد والباء) ، الأزهري (محمد بن أحمد): تهذيب اللغة ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان (ط 01) 2001م ، مادة (حصب) ، ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب ، دار صادر بيروت لبنان (ط 01) (د ت) ، مادة (حصب).

[8] السيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة (د ط) (د ت)، 3434/6.

ذكر أَن الحَصَبَ في لغة أَهل اليمن الحَطَبُ ورُوِي عن علي كرم الله وجهه أَنه قرأَ حَطَبُ جَهَنَّمَ وكلُّ ما أَلْقَيْتَه في النار فقد حَصَبْتَها به ولا يكون الحَصَبُ حَصَباً حتى يُسْجَر به وقيل الحَصَبُ الحَطَبُ عامّةً وحَصَبَ النارَ بالحَصَبِ يَحْصُبها حَصْباً أَضْرَمَها .

وقال أيضا : الحَصَبُ في لغة أَهل نجد ما رَمَيْتَ به في النار ، وقال عكرمة حَصَبُ جهنم هو حَطَبُ جهنم بالحَبَشية وقال ابن عرفة إن كان أَراد أَن العرب تكلمت به فصار عَرَبيةً وإِلا فليس في القرآن غيرُ العربيةِ[9] .

وإذا أحصينا جملة الألفاظ الواردة في المعاجم في تحديد معنى حاصب فإننا نجدها محصورة وفق المخطط الآتي:

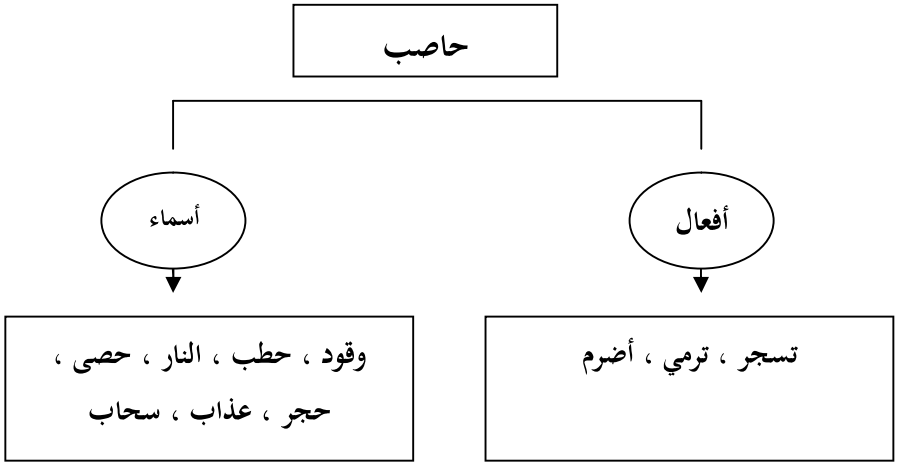

فجملة الأسماء تنطبق على البركان ؛ فالحمم البركانية هي (حطب ، وقود ، نار) مشكلة من مواد منصهرة هي (حصى ، حجارة، تراب) يطلق بعد الثوران غازات سامة هي (سحاب ، عذاب) كما يرسل مقذوفات هي (حجارة) .

أما جملة الأفعال (ترمي ، تسجر ، أضرم) فهي الصفات الفعلية التي يتمظهر بها البركان ، بالإضافة إلى ذلك فإن الانفجار المدوي الذي يحدثه غالب الظن أنه مصرح به في القرآن في قوله تعالى ﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾ [الحجر:73]

أما الحصب في القرآن فلا إشكال في تأويله فهو يعني الوقود قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ **حَصَبُ** جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}[الأنبياء:98] وهو مفسر بقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ

[9] ينظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة (حصب).

فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي **وَقُودُهَا** النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:24] فالناس والحجارة سيكونان حصبا لجهنم أي وقودا لها .

لذلك نقول : إنه ما دام أن "الحصب" ورد في القرآن وفسرته آية أخرى ذكرناها آنفا ، ومعناه ثابت في المعاجم العربية وكتب التفسير ، ولا يحتمل تأويلا آخر غير الوقود ، فإن الحاصب على وزن فاعل هو الذي يقوم بعملية الحصب ؛ أي رمي هذا الوقود الذي هو عبارة عن حجارة منصهرة سرعان ما تيبس عند تعرضها لدرجة حرارة معينة .

و لو كان العذاب الذي سلطه الله على قوم لوط ريحا لصرح القرآن بذلك كما صرح به في مواضع أخرى حيث ذكر:

الإعصار، والريح العاتية، والريح العاصف، والريح العقيم، والقاصف من الريح، وريحا صرصرا.

كما أن البركان يشترك مع جهنم في خاصية الرمي قال الله تعالى واصفا جهنم : ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات:32]، ومن خصائص البركان كذلك الإمطار ؛ فهو يمطر حجارة من نار مختلفة الأحجام ، وغبارا قاتلا ودخانا مميتا ، بالإضافة إلى الحمم التي تشبه الطين في لزوجته وبعد تصلبه ،كما أنها منضودة طبقات بعضها فوق بعض ، وكل هذه الأوصاف ورد ذكرها القرآن : ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:82] ن ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:74] ، ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات:33].

والحقائق العلمية التي توصل إليها الجيولوجيون تثبت صدق ما ذهبنا إليه . فقرى قوم لوط تقع على تلال كانت تحاذي الشاطئ الجنوبي للبحر الميت وهي تقع فوق بؤرة الصدع القاري الذي كون غور الأردن ، وكذلك البحر الأحمر وهو صدع شهد كثيرا من الأنشطة البركانية كما هو مشاهد من الحجارة البازلتية في الجبال المحيطة به.

كما أن الصور الجوية والأرضية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك بحصول خسف في المنطقة الجنوبية من البحر الميت . وهو ما صرح به القرآن في قوله تعالى ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ [الحجر:74].

تُظهر الصورة أن طبيعة الجزء الجنوبي من البحر الميت يختلف تماما عن الجزء الشمالي والذي كان يفصل بينهما جزئيا ما يسمى باللسان عندما كان مستوى سطح البحر عاليا قبل عدة عقود. وبعد انخفاض مستوى سطح البحر بسبب قلة المياه التي تغذيه من نهر الأردن امتد اللسان إلى الغرب ففصل الجزئين عن بعضهما. فالجزء الواقع شمال اللسان وهو الأكبر له عمق يصل لعدة مئات من الأمتار ولذا يبدو البحر الميت أسود اللون في هذا الجزء أما الجزء الجنوبي الصغير فهو ضحل لا يتجاوز عمقه العشرين مترا والذي يبدو أزرق اللون. ومن الواضح أن الجزء الجنوبي من البحر الميت قد تكون في فترة متأخرة نظرا للفرق الشاسع بين عمق مياه الجزئين.

لكن السؤال المطروح ، لماذا لم يقل أحد بهذا ؟ فنجيب بالقول :

حقيقةً إن المعاجم العربية وكتب التفسير القديمة لم تذكر لفظ البركان ؛ لأن البركان لفظ معرب مأخوذ من اللفظ الفرنسي (volcan) والعرب تطلق عل البركان لفظ : جبل النار ، ومنه الحديث الصحيح الذي يذكر علامة من علامات الساعة : (...وثلاثة خسوف خسف بالمغرب وخسف بالمشرق

وخسف بجزيرة العرب وَآخِرُ ذَلِكَ تَخْرُجُ نَارٌ مِنَ الْيَمَنِ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ.)[10]، وقعر عدن هو أضخم بركان خامد على وجه الأرض وسيثور في آخر الزمان بنص الحديث والعلم . والملاحظ في الحديث أنه ذَكَرَ الخسوف الثلاث وقدمها على النار (البركان) وهو دلالة واضحة على ارتباط الزلازل بالبراكين.

والواقع أن القرآن ليس هو الكتاب الوحيد الذي وصف هلاك قوم لوط ، فقد جاء في التوراة في الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين وصف هذا العذاب الذي سلطه الله على قوم لوط ونصه كما يلي :

(وَإِذْ أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ دَخَلَ لُوطٌ إِلَى صُوغَرَ، 24 فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ. 25 وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ ِ الأَرْضِ. 26 وَنَظَرَتِ امْرَأَتُهُ مِنْ وَرَائِهِ فَصَارَتْ عَمُودَ مِلْحٍ).

والشاهد في النص هو (كبريتا ونارا من عند الرب من السماء) (وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ الدَّائِرَةِ، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتَ ِ الأَرْضِ).

فالكبريت والنار لا يكون إلا من البركان ،ولا يكون من الريح (ouragan) ألبتة ، كما أن قلب المدن لا يكون إلا بزلزال.

وما ذكر في التفاسير[11] من رواية مفادها أن الله أرسل جبريل حمل مدن قوم لوط بجناحه ثم صعد بها إلى السماء ، حتى إن أهل السماء يسمعون نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وأتبعها بحجارة من سجّيل حتى أهلكها وما حولها ، فهي رواية لم تذكرها كتب الحديث ، وإن كانت روايةً صحيحة فهي تنفي تعذيبهم بالريح العاتية . ثم إن كان جبريل قد اقتلع جزءا من الأرض وقلبها رأسا على عقب فما جدوى إرسال الحجارة ...

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله : واصفا نوع العذاب الذي حل بقوم لوط "وقد جاء في التّوراة : أن الله أرسل عليهم كبريتاً وناراً من السماء . ولعلّ الخسف فجّر من الأرض براكين قذفت عليهم حجارة معادن محرقة كالكبريت ، أو لعلّ بركاناً كان قريباً من مدنهم انفجر باضطرابات أرضية ثم زال من

---

[10] أبو داود (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود : تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر (د ط) (د ت) ، الحديث رقم: 4311 ، 517/2

[11] الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد): النكت والعيون:تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (د ط) (د ت) ، 492/2 ، الشوكاني (محمد بن علي بن محمد): فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، (د ط) (د ت) ، 517/2.

ذلك المكان بحوادث تعاقبت في القرون ، أو طَمى عليه البحر وبقيَ أثر البحر عليها حتّى الآن ، وهو المسمّى بُحيرة لوط أو البحرَ الميت"[12].

ويذهب السيد قطب إلى نفس التفسير حيث يقول : "وقد خسف بقرى لوط بظاهرة تشبه ظاهرة الزلازل أو البراكين وتصاحبها أحيانا ظاهرة الخسف وتناثر أحجار ملوثة بالطين وهبوط مدن بكاملها تسيح في الأرض . ويقال : إن بحيرة لوط الحالية وجدت بعد هذا الحادث ، بعد انقلاب عمورة وسدوم في باطن الأرض ، وهبوط مكانها وامتلائه بالماء"[13].

وما ذهبا إليه من تأويل تؤكده الحقائق العلمية يقول يحي هارون في معرض تفسيره لقوله تعالى:{فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[هود:82]: "جملة ﴿جعلنا عاليها سافلها﴾ تشير إلى أن المنطقة قد أصابتها هزة أرضية عنيفة جدا وهنا نجد أن بحيرة لوط، المكان الذي وقع فيه العذاب، تحمل دلائل واضحة عن كارثة كهذه"[14].

يقول عالم الآثار الألماني فيرنر كيلر: "غاص وادي سديم الذي يتضمن سدوم وغومور اه مع الشق العظيم ، الذي يمر تماما في هذه المنطقة في يوم واحد إلى أعماق سحيقة ، حدث هذا الدمار بفعل هزة أرضية عنيفة صاحبتها عدة انفجارات ، وأضواء نتج عنها غاز طبيعي وحريق شامل"[15].

أما الجملة الأخيرة من الآية ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ فربما تعني حدوث انفجار بركاني على ضفتي بحيرة لوط ، ولهذا كانت الحجارة التي انطلقت (من سجيل).

وعن ذلك يقول فيرنر كيلر: "تحررت القوى البركانية التي كانت هامدة في الأعماق على طول الصدع من ذلك الغور ، ولا تزال فوهات البراكين الخامدة تبدو ظاهرة في الوادي العلوي من الضفة الغربية ، بينما تترسب هنا الحمم البركانية وتتوضع طبقات عميقة من البازلت على مساحة واسعة من السطح الكلسي"[16].

وقد نُقِلَ عن بعض الباحثين قوله :

بسبب التركيبة الجيولوجية العجيبة لمنطقة البحر الميت فقد كان العذاب الذي حل بالقوم من أعجب وأشد أنواع العذاب. فقد بدأ العذاب عند الشروق بإنفجارات مدوية تصم الآذان نتيجة ثوران البركان ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر:73]" مما أخرج القوم من بيوتهم ثم تلا ذلك زلزال شديد

---

[12] ابن عاشور (الطاهر) : التحرير والتنوير الدار لتونسية للنشر 1984 ، 12/134-135.

[13] السيد قطب : في ظلال القرآن، 4/2150.

[14] يحي هارون : الأمم البائدة ، ترجمة ميسون نهلوي ، مؤسسة الرسالة ، (د ط) (د ت) ص: 51.

[15] المرجع نفسه : ص: 51.

[16] المرجع نفسه : ص: 51.

وخسف لجميع المنطقة التي تقع عليها مدنهم "فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا" ثم بدأت الحمم البركانية تخرج بشدة وبعنف من الشقوق المحيطة بالمدن حيث حصل الخسف وتصبها على القوم المحاصرين في منطقة الخسف "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ"، وأخيرا وبسبب وقوع القرية على الشاطئ الجنوبي للبحر الميت فقد فاضت عليهم مياه البحر لتملأ هذه الأرض المخسوفة لتصبح جزءا منه ، ولتبقى شاهدا على هذا العذاب الأليم[17].

ويقول بعض الجيولوجيين إن المنطقة الجنوبية للبحر الميت كانت تحتوي تحت سطحها خزان ضخم من البترول والغاز وكان يتسرب إلى البحر الميت ليظهر على شكل إسفلت ولذا كان يطلق عليه اسم بحر الإسفلت. ولذلك يقول البعض أن البركان الذي أدى إلى خسف مدن قوم لوط صاحبه احتراق كميات كبيرة من الغاز والبترول زاد من شدة العذاب الذي أوقعه الله عز وجل بهؤلاء القوم الشاذين[18].

وكل من فَعَل فِعْلَ قوم لوط أصابه العذاب الذي أصاب قوم لوط قال تعالى: ﴿... فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾[فاطر:43] فليس بالضرورة أن يأتي العذاب من خارج الأرض ، بل في الغالب يتم باستخدام ظواهر طبيعية كالزلازل والبراكين والأمطار والرياح وأمواج البحر العاتية وغير ذلك من الظواهر ، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾[يس:28].

وفي هذا المضمار يقول النيسابوري : "ثم قرر أمر المذنبين بإجمال آخر يفيد أنه عذبوا بالعناصر الأربعة ، فجعل ما منه تركيبهم سبباً لعدمهم وما منه بقاؤهم سبباً لفنائهم. فالحاصب حجارة محماة تقع على كل واحد منهم فتنفذ من الجانب الآخر وهو إشارة إلى التعذيب بعنصر النار وأنه لقوم لوط. والصيحة وهي تموج شديد الهواء لمدين وثمود. والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون.."[19].

والعذاب الذي دمر به قوم لوط هو العذاب نفسه الذي دمرت به مدينة (مومباي) في إيطاليا حيث أتى عليها بركان دمرها عن بكرة أبيها نتيجة لممارستهم الرذيلة جهارا نهارا ، وعلى نطاق واسع دون حياء حتى من صبيانهم ، والأمر نفسه بالنسبة لشواطئ آسيا التي دمرها تسونامي ؛ وهو عبارة عن زلزال ضرب أعماق المحيط فخرجت حمم بركانية مختلطة بماء البحر طمرت معظم الشواطئ الجنوبية لآسيا وراح ضحيتها آلاف الأشخاص. ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ

---

(17) www.quran-m.com

(18) www.quran-m.com

(19) النيسابوري (نظام الدين الحسن بن محمد) : غرائب القرآن ورغائب الفرقان تحقيق : الشيخ زكريا عميران ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان (ط 01) 1996م، 385/5.

مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[هود: 82- 83] فالزلزال والبركان عذابان حاضران كلما باشر الناس هذا الفعل المخزي.

لذلك نرى أن الله (أرسل عليهم حاصبا) بمعنى أنه (سلط عليهم بركانا) ؛ لأن التسليط هو أحد معاني الإرسال[20] **. وبالتالي فالترجمة المقترحة لكلمة حاصبا هو (volcan) عوض (ouragan) ؛** لأن البركان تنطبق عليه الصفات الآتية:

- (الصيحة) ⟵ وهو الانفجار المدوي .
- (الإرسال) ⟵ يتمثل في المقذوفات التي يرسلها البركان .
- (الخسف) ⟵ وهو الزلزال المصاحب للبراكين في أغلب الحالات .
- (الحجارة) ⟵ وهي المكون الأساسي للبركان .
- (الحصب) ⟵ وهو وقود البركان المسمى حمم بركانية.

لكن ما هي الحكمة من تعذيبهم بالبركان أو النار ؟ يجيب عن هذا السؤال الدكتور عدنان الشريف في كتابه "من علم الطب القرآني" بالقول: "أهلك الله قوم لوط بالصيحة .. ثم أرسل عليهم حاصبا ؛ وهي حجارة على درجة كبيرة من الحرارة بفعل احتكاكها بطبقات الجو فحرقت وطهرت كل ما في المدينة من أمراض انتشرت بسبب اللواط . والحرارة العالية الجافة هي من أقوى وسائل التعقيم والتطهير كما هو معروف في علم التعقيم والراجح أنهم كانوا مصابين بمرض السيدا أو الإيدز"[21] .

---

[20] الدامغاني (الحسين بن محمد) : إصلاح الوجوه والنظائر ، تحقيق عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، (ط 03) 1980م ،ص:203.

[21] www.liberalls.org